أبعدَ غياثِ الدين يطمعُ طرفُه ... بصرفِ خطابِ الناسِ عن ذمِّ خطبِه
وتخطو الى عبدِ الكريمِ خطوبُهُ ... ويطلبُ منّا اليومَ غفرانَ ذنبِه
سليلُ النبيِّ المصطفى وابنُ عمّه ... ونجلُ الوصيِّ الهاشميِّ لصلبِه
فتىً كانَ مثلَ الغيثِ يُخشى وبالُه ... ويُرجى لطلّابِ الندى وَبلُ سُحبِه
رقيقُ حواشي العيشِ في يومِ سلمِه ... كثيفُ حواشي الجيشِ في يومِ حربِه
فلا يتّقي الاسيافَ الّا بوجهِه ... ولا يلتقي الاضيافَ الّا بقلبِه
ولا ينظرُ الاشياءَ الّا بعقلِه ... ولا يسمعُ الانباءَ الّا بلُبّه
اذا جالَ في يومِ الردى قيلَ مَن لهُ ... وان جادَ في يومِ الندى قيلَ مَن بهِ
أمِن بعدِ ما تمّتْ محاسنُ بدرِه ... ودارتْ على كلِّ الورى كاسُ حُبّه
دهتهُ المنايا وهي في حدِّ سيفِه ... وصرفُ الليالي وهو من بعضِ حزبِه
كأنْ لم يقُدْها كالاجادلِ شُزّباً ... ويرفعُ قُبّاً الليلَ من نقعِ قُبّه
ولم يقرعِ الاسماعَ وقعُ خطابِه ... ولم يطرقِ الهيجاءَ موقعُ خطبِه
ولا كانَ يومَ الدستِ صاحبَ صدرِه ... وللجيشِ يومَ الحربِ مركزَ قطبِه
أتبتزّهُ الاعداءُ في يومِ لهوِه ... فهلّا أتوهُ جحفلاً يومَ حربِه
ولم أرَ قبلَ اليومِ ليثَ عريكةٍ ... أذاقتهُ طعمَ الموتِ عضّةُ كلبِه
ولو كانَ ما بينَ الصوارمِ والقنا ... وفوقَ متونِ الخيلِ إدراكُ نحبِه
لكانَ جميلُ الذكرِ عن حسنِ فعلِه ... ينفّسُ عن قلبِ الفتى بعضَ كربِه

أبى قيادَ النفسِ أثّرَ حتفَهُ ... ولم يُبدِ يوماً للعدى لينَ جنبِه
كأنّ بني عبدِ الحميدِ لفقدِه ... ذرى جبلٍ هُدّتْ جلامدُ هضبِه
استلبهُ الاعداءُ من بينِ رهطِه ... وتغتالهُ الايامُ من دونِ صحبِه
وتفقدهُ في دولةٍ طاهريّةٍ ... بها الذئبُ يغدو راعياً بينَ سربِه
بدولةِ ملكٍ يغصبُ الليثَ قوتَهُ ... وتقتلُ من يلقاهُ شدّةُ رعبِه
فلو كانَ شمسُ الحقِّ والدينِ شاهداً ... لمصرعِ ذاكَ الندبِ ساعةَ نُدبِه
بكاهُ بأطرافِ الاسنّةِ والظبى ... بدمعٍ من اللبّاتِ مسقطُ سكبِه
وشنَّ على عُربِ العذارين غارةً ... يضيقُ بها في البرِّ واسعُ رحبِه
فيعجمُ لبّاتِ الكماةِ بطعنِه ... ويعربُ هاماتِ الحماةِ بضربِه
فلا نقطُ إلّا من سنانِ قناتِه ... ولا شكلُ الّا من مضاربِ عضبِه
أبى الحربُ بادرْ واتّخذها صنيعةً ... تبدّلُ مُرَّ القولِ فيكم بعذبِه
فكم لغياثِ الدين من حقِّ مِنّةٍ ... تطوقُ بالانعامِ أعناقَ صحبِه
قضى نحبَهُ والذكرُ منهُ مخلّدٌ ... بأفواهِنا لم يقضِ يوماً لنحبِه
ومذ رجعتْ اترابُه من وداعِه ... تلقّاهُ في أكفانِه عفوُ ربِّه
سقى قبرَهُ من صيّبِ المزنِ وابلٌ ... يجرُّ على ارجائِه ذيلَ خصبِه
ومن عجبٍ أنّ السحابَ بقبرِه ... وأسألُ من صوبِ الحيا ريَّ تربِه

وقال يرثي القاضي شهاب الدين محمود كاتب السر بدمشق سنة ٧٢٥

Copyright © King Saud University